

أعظم دورة تدريبية في الأخلاق

ما بالك وبال أصحابك من قبلك ، اختلف الناس عليك ولم يختلفوا على من كان قبلك ؟

قال الإمام علي : لأنهم حكموا أمثالي وأنا أحكم أمثالك .

ظل العالم الإسلامي من زمن رحيل الرسول يفتقر إلى إعداد برامج ودورات تدريبية في القيم والأخلاق الحميدة وما نراه ونسمعه إنما هي حذقات لغوية وفن خطابي وعبارات بلاغية منمقة يستخدمها الخطيب من على المنبر وهي ترفع من يتعاطى تلك الدعوات الأخلاقية اجتماعيا وتنزله منزلة رفيعة والجماهير تستأنس بالحديث عن الأخلاق والدعوة إليها لكنها في واقعها لم تتدرب على هدم عوائق نقل الدعوات من الحالة الكامنة الى الحالة المتحركة .

مسيرة يوم الأربعين أو ما يصطلح عليه شعبيا مشاية الإمام الحسين هي إنموذج لأجمل وأعظم دورة تدريب على القيم والأخلاق الحميدة عرفها المسلمون منذ زمن الرسول (ص) فموجات بشرية مليونية من شتى بقاع الأرض في سلسلة بشرية متصلة غاية في الجمال والروعة يشترك فيها العاجز والمريض والمعاق والنساء والأطفال بتعدد ألوانهم وأعراقهم ولغاتهم تلك الموجات حضرت استحبايا لرفع شعار المظلومية مما يولد في نفسها حاجزا نفسيا كبيرا لكره الظلم واستبشاعه تأسيا واستحضارا لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام تلك الثورة المفعمه بمفاهيم أخلاقية وتربوية كثيرة تجسدها مظاهر مسيرة يوم الأربعين ، تلك الموجات المليونية الزاحفة نحو نقطة جغرافيا صغيرة تجد في طريقها من التفاني في الانفاق والكرم والجود من قبل أهل البلاد المزارة مما لا يصدق العقل فما أن تهوي الشمس غربا حتى تجد محبي الإمام الحسين يتلقفون الجماهير كما تتلقف الكرة طامعين متنافسين في من يرغب بتلبية طلب قبول ضيافتهم في مشهد حضاري غاية في الرقي لن تجد له مثيلا في التاريخ تتكسر فيها حواجز التصنيفات الاجتماعية. فلا اعتبار لعرقك أو لونك أو تحزبك السياسي أو انتمائك المذهبي بما أنك في طريق زيارة أبي الاحرار فهذا يدثرك وهذا يمسك رجلك تدليكا وذاك ذراعك واكتافك تمصيعا والآخر يأتي إليك بود وابتسامة عريضة ليسألك ماذا تود أن تشرب حبيبي الزائر مو على عيني وراسي هل أنت جائع هل أنت بردان ؟

فتلك المظاهر هي مزيج من الحب والإيمان بل مهرجان للتنافس على مظاهر الأخلاق والقيم الحميدة وانعكاس مصغر لصورة المدينة الفاضلة التي تخيلها أفلاطون والفارابي في كتبهم الحاملة تلك الجماهير لا قائد

لها يلوح بعصاه عليها ولا منظم يستقوي من إيرادتها المالية ومع ذلك وصلت لمرحلة متقدمة وناضجة إداريا ، تلك الموجات المليونية تنقل لك أنها لا تشعر بشئ غير غلبة العقل والنور ويقظة الوجدان والضمير الحي ، تلك المشاية ليست مجرد طقوس تعبدية بل هي رقي إنساني وحضاري هي عبارة عن بناء مجتمع ومراة ناصعة لقول الحكماء والفلاسفة أن الإنسان بطبيعته يملك المشاعر والأحاسيس الطيبة فقط